الفصل الثاني

أصـول التربيـة فـي نـداء الـقـرآن

إنَّ المتتبِّع لآيات النداء في القرآن الكريم ، والموجَّهة للمؤمنين ، يلاحظ أنها تضمَّنت أصولاً تربوية بليغة ، تغذي العواطف ، وتؤثر في المشاعر ؛ مما يدفع بالنفس المؤمنة للارتقاء والسُّمو في مجال التفكير السليم ، والتصرف الحسن ، والتعامل السَّديد .

وإنْ دلَّ هذا الأمر على شيء ، فإنما يدلُّ على عظمة الإسلام ؛ كرسالة نورٍ تشعُّ بضياء المعرفة ، وتحرِّر النفوس من التقليد والتبعية والأوهام ؛ وصولاً إلى التَّعلُّم المتقن ، ورَفْع جاهزية المرء في ظلِّ التعاليم الإسلامية .

وسنتتبَّع ـ بإذن الله ـ نداءَ القرآن في المجالات التالية :

١ ـ النداء القرآني .

٢ ـ التذكير الوعظي .

٣ ـ العبرة بالقصص .

(١) النداء القرآني :

ونلحظ فيه عدة أنواع :

أ ـ النداء التعبدي : والقصدُ منه توجيهُ سلوك المؤمنين للعمل بما تتطلبه أوامر القرآن ؛ في مجال العقيدة ، وإثارة التفكير ؛ للتحرك في إطار التشريع ، والاتجاه بقلبٍ صافٍ للتعامل مع الدين ، وفَهْم طبيعته ، والقيام بالأمانة

الكبرى؛ أمانة العقيدة في الضمير وفي السلوك؛ بمنهجٍ مباركٍ يحقِّق مستلزمات الألوهية والتوحيد.

وقد جاء النداء التعبدي في القرآن الكريم على عدَّة أنواع، ويأتي في المقدمة: نداء الذين آمنوا. وسنقتصر على إيراد طائفة من الأوامر والنواهي التي خُوطِب بها المؤمنون، ومن ذلك:

* القيـــام بالتكـاليـف:

ـ نداء أَمْر المؤمنين بالصلاة يوم الجمعة، وتعليمهم ما يتعلق بهذا اليوم المبارك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ٩ ـ ١٠].

ـ نـداء أَمْر المؤمنين بقتال الكفار وجهادهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ١٢٣].

ـ نداء أَمْر المؤمنين بالثبات عند لقاء الأعداء، والتزوُّد بزاد النصر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٥ ـ ٤٦][1].

ـ نداء أمر المؤمنين للاستجابة لله والرسول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤].

* نداء أمر المؤمنين ليطيعوا الله ورسوله: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٣].

---

(١) ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾: تتلاشى قوتكم أو دولتكم.

ـ نداء لفرض الصيام على المؤمنين؛ لما فيه من اتقاء المعاصي وكَسْر حدَّة الشهوة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

وهذه التكاليف وغيرها دعوةٌ تربوية للقيام بها، وتمثُّلها واقعاً عملياً، وتنفيذ مضامينها، فالعمل في الإسلام يقوم أولاً على الطاعة لله عز وجل، وإظهارها استسلاماً مطلقاً للخالق المولى، ثم تأتي الأوامر لتحريك وجدان المسلم، وإلقاء التبعات على كاهله؛ لتكون النهايةُ فَلَاحاً في الدنيا، وفوزاً في الآخرة.

* اجتناب النواهي:

ـ نداء نهي المؤمنين عن موالاة الأعداء، وتبصيرهم بحقائق موقفهم، وتحذيرهم من حبائل الأعداء: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [الممتحنة: ١ ـ ٢][1].

ـ نداء نهي المؤمنين ألا يكونوا كالمنافقين في تهرُّبهم من القتال، وفهمهم الأمور على غير حقيقتها: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٥٦][2].

ـ نداء نهي المؤمنين عن تحريم الطيبات والاعتداء: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ﴾ [المائدة: ٨٧].

ـ نداء نهي المؤمنين ألا يُبْطلوا صدقاتهم بالمنِّ والأذى، وعدم مراءاة

---

(١) ﴿ يَثْقَفُوكُمْ﴾: يظفروا بكم، أو يصادفوكم. ﴿ وَيَبْسُطُوٓاْ﴾: يمدّوا.

(٢) ﴿ ضَرَبُواْ﴾: سافروا لتجارة أو غيرها فماتوا. ﴿ غُزًّى﴾: غزاة مجاهدين فاستشهدوا.=

الناس: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

ـ نداء نهي لإثارة الحذر النفسي، واليقظة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ [النور: ٢١].

إنَّ مسألة النهي في الإسلام تدفع المؤمنين للطاعة؛ إذ تجعلهم يقفون على التحريم، بعد أن أعلنوا إذعانهم لله وحده، فلا يسعهم الاختيار بعد أمره ونهيه، وبالتالي يأتي النهيُ لاستجاشة قلب المؤمن، وتذكيره بالإيمان، والتزامة بالطاعة. وكل ذلك يأتي في سياقٍ مؤثِّر، له إيقاع رائق؛ ليفتح القلوب، ويُبدِّد عتمة الضلال.

❁ الحثّ على التخلُّق بالصفات الحميدة:

ـ نداء أمر المؤمنين بتقوى الله، والإيمان برسوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحديد: ٢٨][1].

ـ نداء أمر المؤمنين بالتقوى، واليقظة الدائمة، والحذر من نسيان الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [الحشر: ١٨ ـ ١٩].

ـ نداء أمر المؤمنين بالتقوى، والقول السديد الصادق، وطاعة الله والرسول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

[الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١].

وهذه الأخلاق، وتلك الصفات وغيرها؛ تحثُّ المؤمنين على السُّمو بتفكيرهم، وتعاملهم، وسلوكهم، فإذا بهم يخلصون في توجُّههم نحو

---

(١) ﴿ كِفْلَيْنِ ﴾: نصيبين.

الحق ، ويستوفون شروط الإيمان ، فيكون تحرُّكهم عقيدة ربانية ، ومشاعر سمحة ، وروابط ودِّية ، فالمسلم نموذجٌ كامل للفطرة الإنسانية ، ابتداءً من الإيمان الفطري وانتهاءً بالإيمان المدرك الواعي .

(ب) النداء التذكيري :

وهو أنواع :

ـ تذكير بني إسرائيل بنعم الله تعالى عليهم : ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [البقرة : ٤٧] .

ـ تذكير المؤمنين بِنِعَم الله عز وجل ، وفَضْله عليهم : ﴿ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ ﴾ [آل عمران : ١٠٣] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ ﴾ [المائدة : ١١] .

ـ تذكير الناس بنعم المولى عليهم ، كرزقهم المتواصل من السماء والأرض : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ [فاطر : ٣] .

وللتذكير أثر عميق في قيعان النفس ، حيث يقف المرءُ أمام النِّعم التي أولاه الخالق إيَّاها ، فيتمعَّن ويتدبَّر فَضْلَ الله تعالى ، فيندفع إلى العمل الصالح ؛ لأنَّ النِّعمة تستوقف القلب ليستشعر إيقاعَها الموحي ؛ حين تتَّصل النفسُ بخالقها ؛ من خلال الحسِّ الإيماني .

فمنهج القرآن في النداء التذكيري واضح ؛ في تتبُّعه للمشاعر والانفعالات ، وتأكيدها على دورها في إيجاد حالةٍ من التأهُّب النفسي ، والاستعداد للتحلِّي بمكارم الأخلاق ، والاندفاع نحو التطبيق والاستقامة .

(ج) النداء التنبيهي :

وهو عبارةٌ عن سؤال من قِبَل الخالق تعالى ، ثم تأتي الإجابةُ عليه ؛ تنبيهاً

لأهمية السؤال ، وإثارة الانفعالات النفسية لتتبُّع أطواء الجواب ، ومن ذلك :

ـ نداء هتافٍ يدعو المؤمنين إلى أربح تجارة في الدنيا ، وهي تجارة الإيمان والجهاد : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝١٢ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الصف : ١٠ ـ ١٣].

ـ نداء أمرٍ للمؤمنين باجتناب الظن ، والتجسس ، والغيبة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴾ [الحجرات : ١٢].

ـ نداء نهي المؤمنين عن موالاة الكفار ، والضالين ، ودعوتهم للانفصال عن أعداء الله : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ ﴾ [المائدة : ٥١].

(د) النداء العاطفي :

وهو كثير في القرآن الكريم ، ومنه :

ـ نداء أمرٍ بالتقوى ؛ التي هي زاد القلوب : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ [الأنفال : ٢٩][1].

ـ نداء نهي عن اليأس من رحمة الله : ﴿ ۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر : ٥٣].

---

(١) ﴿ فُرۡقَانٗا ﴾ : نوراً ، أو نجاة ، أو مخرجاً. =

ـ نداء أمر للمؤمنين بتقوى الله ، وتخويفهم من أهوال مشاهد البعث: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١].

ـ نداء أمر للمؤمنين بالتوبة ، وتصوير الجنة التي يستحقُّها التائبون: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [التحريم: ٨].

٢ ـ النداء الوعظي:

«وهو أن يعيدَ الواعظُ إلى الذاكرة معاني وذكريات ، تستيقظ معها مشاعر ، ووجدانات ، وانفعالات ، تدفع للمبادرة إلى العمل الصالح ، والمسارعة إلى طاعة الله وتنفيذ أوامره ، وهذا يقتضي أن يكون في ذكريات الموعوظ ووجدانه ما يعتمد عليه الواعظ من إيمان بالله ، وخوفٍ من الحساب ، ورغبةٍ في الثواب.

وللتذكير وسائل أهمُّها:

* التذكير بالموت.

* التذكير بالمرض.

* التذكير بيوم الحساب»[(١)].

أ ـ التذكير بالموت:

قال الله عز وجل:

ـ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ [المؤمنون: ٩٩ ـ ١٠٠].

ـ ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨][(٢)].

---

(١) أصول التربية الإسلامية؛ للنحلاوي (٢٨٣).

(٢) ﴿بُرُوجٍ﴾: حصون وقلاع ، أو قصور. ﴿مُّشَيَّدَةٍ﴾: محكمة ، أو مطوَّلة مرتفعة.

ـ ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

ـ ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ [ق: ١٩].

ب ـ التذكير بالمرض والمصائب:

قال الله تعالى:

ـ ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ [البقرة: ١٥٥].

ـ ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

ـ ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

ـ ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [محمد: ٣١].

ج ـ التذكير بالآخرة ويوم الحساب:

قال سبحانه وتعالى:

ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ [لقمان: ٣٣].

ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٥٤][1].

ـ ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ [آل عمران: ٩].

والتذكير الوعظي يوقظ الانفعالات النفسية؛ كالخوف من الله تعالى، ومن عذابه، وتفهُّم حقيقة الحياة، فإذا بالعواطف الإنسانية تتربَّى في مدرسة التهذيب القرآني.

---

(١) ﴿ وَلَا خُلَّةٌ ﴾: لا مودة ولا صداقة.

كذلك يفيد التذكير في التأثير في النفوس ، فتزكو النفس ، وتتطهَّر من الشوائب والأدران ، وتنأى عن اقتراف الفواحش والموبقات ، وفي ذلك تربية حَسَنة أَوْلاَها القرآنُ الكريمُ أهميةً بالغة .

(٣) ـ العبرة بالقصص :

تُشكِّل القصصُ في القرآن ظاهرة تربوية فريدة ، تُحرِّك العواطف ، وتُنمي الفكر ، مُثيرةً التأمل والنَّظَر والاعتبار؛ من أجل التذكر ، والتفكير السليم ، وتربية النزوع الأخلاقي في السلوك والحياة .

وفي قصص القرآن عِبَرٌ ودروس بالغات . يقول الله تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف : ١١١] .

فقصَّة النبي موسى عليه السلام تحكي كيف يقف الإيمان في وجه الطغيان ، وكيف تتدخَّل العناية الإلهية لتأخذ بأيدي القلَّة المستضعفة؛ لتربِّيهم ، وتمكِّن لهم الدين الذي ارتضاه المولى لهم . يقول اللهُ عز وجل : ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِن بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص : ٤٠ ـ ٤٣] .

وقصة النبي نوح عليه السلام تقصُّ مواجهة الإيمان مع الكبراء الكفار في نظرتهم الضيقة ، ونفوسهم الضئيلة ، وقلوبهم المتحجرة ، وعندها يتوجه نوح إلى خالقه قائلاً : ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾ [المؤمنون : ٢٦] ففي هذه القصة ألوان من العِبَر والتقويم والتوجيه . يقول تعالى : ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ [المؤمنون : ٣٠] .

وقصَّة النبي إبراهيم عليه السلام فيها نبأ المشركين الذين بقوا على دِيْن آبائهم ، فقلَّدوهم ، وعبدوا الأصنام ، وحاربوا الفئة المؤمنة ، فجاءت

القصة تتَّجه بالعبادة إلى الله وحده ، وتحاور الكفار حول مسألة العقيدة ، ففي ذلك عِبْرة واضحة. قال عز وجل: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ . . . الآيات [الأنبياء: ٥٢].

وقصة ثمود فيها تخويف من سَلْب النعمة التي وهبها اللهُ تعالى لعباده؛ كي يؤمنوا به ، ويُخْلِصُوا له الدِّيْن ، لكنهم يَحْيَوْن في غفلة ، ورخاء ، ودَعَة ، فيأتيهم الإنذار من النبي صالح عليه السلام ، بَيْدَ أنهم لم يؤمنوا. وفي هذا عِبْرة للمعتبرين. قال الله تعالى: ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ٩ ـ ١٤].

وقصة قوم النبي لوط عليه السلام تربية ضد الخطيئة الشاذة بإتيان الذكور وترك النساء ، فهذه القصةُ تحارب الانحراف عن الفطرة ، وتردُّ الشاردين إلى جادَّة الحكمة والصواب. وفي هذا عِبْرة بالغة. قال عز وجل: ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٤].

وقصة عاد تحكي وقائع المفاصلة بين المؤمنين والمشركين ، وأنَّ النصر حليف الذين آمنوا؛ حين أعطوا ولاءهم لخالقهم ، وانقادوا لأوامره ، ودانوا له. قال تعالى في مَعْرِض التهديد والإنذار لهم ، ونجاة المؤمنين ، وعذاب الكافرين: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [هود: ٥٨].

إلى ما هنالك من قصص قرآنية؛ تجعل الإنسانَ المتأمل يتوصَّل لمعرفة الحق من خلال الاعتبار والتَّدبُّر ، فيخشع قلب المؤمن ، ويتوجَّه السلوك نحو الغاية المرجوَّة.

وكانت التربيةُ القرآنية تطهيراً لنفوس الصحابة ومَنْ جاء بعدهم ، وتزكية لقلوبهم وأرواحهم ، وهذا ما دفعهم إلى اتباع رسول الله ﷺ ، فكانوا قمماً سامقة ، وذروةً في الإيمان ، والخُلُق ، والعبادة ، والسلوك ، وفرغتْ

نفوسُهم من حظوظها ، وبذلوا جهدهم لإعلاء كلمة الحق ، فحدَّثنا التاريخُ أنهم كانوا أمناء على العقيدة ، وأمناء على السلطان الذي وُضِع في أيديهم ، فعمروا الدنيا ، وآثروا الآخرة ، وصاغوا الإسلامَ نظاماً في شعائرهم ومشاعرهم ، فحكَّموا شرعَ الله في حياتهم ، وأخلصوا لله عز وجل في نياتهم وسلوكهم ، وخاضوا معركة الحياة على كل الأصعدة؛ ببسالة ، وقوة ، وقدرة على المواجهة والتحدي والثبات.

وأدَّت التربية القرآنية إلى إيجاد أُسَر مسلمة ، تُجسِّد مفاهيم الإسلام في حالها وأقوالها وأفعالها ، وما الفتوحات الإسلامية إلا نتيجة لتربية عظيمة ، آتت أُكُلها يانعة في كل حين ، فساد الأمنُ والأمان ، وانتشرت المعاهد العلمية ، وانطلقت جحافل المسلمين تدكُّ عروش الظلم والمعتدين ، وخفقت رايةُ لا إله إلا الله عالية في الآفاق.

* * *